

أ / عبد الكريم حمو

المركز الوطني للبحث في الانترنتوبولوجيا الاجتماعية والثقافية وهران

أثر الاستشراق في النقد العربي الحديث.

مقدمة:

لقد اهتم علماءنا العرب القدامى بالأدب وزادا اهتمامهم به لصلته الوثيقة بكتاب الله وسنة رسوله ولغتهما الخالدة، حاولوا بكل إخلاص استجلاء كثر الأدب والإجابة عن الأسئلة الكبرى راغبين أن يحددوا ماهية العمل الأدبي، ويبرزوا الوظيفة التي يؤديها الأدب، ويقوموا الجيد من الرديء والمنقول من المنحول... ويفهموا مشكلة اللفظ والمعنى.. وكلما ألفوا كتابا أو ناقشوا مسألة جاءوا بابتكار جديد ظل أثره ينتقل من عصر إلى عصر مما أدى إلى نضج فكري عظيم.

فقد مر الأدب العربي بمراحل أولها العصر الجاهلي الذي كان عبارة عن ملاحظات وأراء شعرية ونثرية أساهها الذوق السليم والفطرة الطبيعية، وقد انكشف الأدب في مباريات وأندية كسوق عُكاظ الذي كان يُعج بأهل الشعر وتعرض فيه الأحكام الشعرية و النقدية.

ومع دخول الإسلام الأماكن والأمصار قل بعضه وهذب لفظه وعز نظمه... وتقدم شأنه في عصر الدولة الأموية وذلك في مجالس الأمراء الأدبية وعطاءهم السخية، فاقبلوا عليه دون إحجام.. أما في الزمن العباسي فأقيم صرح الأدب واللغة وجميع العلوم وتناول أهل الأدب ديوانهم بالنقد والتحليل والتصنيف، وحاولوا أن يردوا كل نص إلى مصدره وأن يبحثوا في الرواة ومبلغهم من الصدق والكذب.. ونذكر منهم مثلا: طبقات فحول الشعراء لابن سلام الجمحي، والشعر والشعراء لابن قتيبة، ونقد الشعر لقدامة بن جعفر، والموازنة بين أبي تمام والبحثري للآمدي، والوساطة بين المتنبي وخصومه للقاضي الجرجاني، ودلائل الإعجاز وأسرار البلاغة لعبد القاهر الجرجاني.... وغيرهم كثير. ويعتبر كتاب البيان والتبيين للجاحظ وأدب

الكاتب لابن قتيبة والكامل للمبرد والنوادر لأبي علي القالي أصولاً للأدب وما سواهما فروع منها¹

وجاءت بعد زمن أرمدة من علماء الاستشراق أزالوا الغبار عن مخطوط العرب حيث جمعوا الكتب ونشروا نفائسها وأنشئوا المكتبات وأسسوا المعاهد ووظفوا الأسلوب العلمي والمنهج الأكاديمي في بحوثهم، فكانوا في كثير من الأحيان قدوة للدارسين العرب المحدثين من معلمي لغتهم ومؤرخي تراثهم وباحثي أدبهم ونقدهم.

لقد ثورا المستشرقون عدة قضايا في أدبنا المعاصر، وما كانا من بعض العرب إلا اختيار طريقهم وفهمهم، ومنهم من اكتفى بالرد عليهم وعلى أتباعهم مما أدى في النهاية إلى نقضة أدبية كبيرة خاصة في النصف الأول من هذا القرن، وظل صدهاء يتردد من حين إلى آخر إلى الآن وربما سيظل أمداً طويلاً.

الإشكالية:

هل كانت تنقص العرب القدامى المنهجية العلمية في أبحاثهم ومخطوطاتهم؟ وماذا قدمت المدرسة الاستشراقية للأدب العربي؟ وهل مارس النقد الاستشراقي الأدبي دوره الموضوعي؟ كل هذه الطروحات سوف نحاول الإجابة عنها في هذه الورقات.

ولكي يتسنى لنا استشارة هذا البحث نحتاج إلى خطة عمل تتمثل في عناصر هي:

تعريف الاستشراق.

المنهج النقدي من منظور استشراقي.

أثار المستشرقين في النقد الأدبي الحديث.

الخاتمة.

تعريف الاستشراق.

¹ - ابن خلدون مقدمة، المكتبة التجارية الكبرى ، ص 554.

يقول ادوارد سعيد " فقد كان المستشرقون لعقود قد تحدثوا عن الشرق وترجموا النصوص، وفسروا الحضارات والأديان والسلالات والثقافات والعقليات... وكان المستشرق خبيراً مثل ساسي ورينان ووظيفته في المجتمع أن يُفسر الشرق ويُترجمه لأبناء قومه؛ وكانت العلاقة بين المستشرق والشرق بصورة أساسية تأويلية، فإذا وقف المستشرق والباحث أمام حضارة أو منجزة ثقافية نائية لا تكاد تفهم، قلّص الإيهام عن طريق الترجمة، والتصور المتعاطف... بيد أن المستشرق بقي خارج الشرق الذي بقي نائياً عن الغرب"¹

بالإضافة إلى أن الغربيين اقتنعوا بأنه لكي يكون هناك تقدماً فكرياً وحضارياً واقتصادياً، فلا بد أن يسلك نفس الطريق الذي سلكه أهل الشرق، حيث بدأوا بإنشاء المدارس والمعاهد والمراكز لتعلم اللغة العربية "ووصل اهتمامهم بعلوم العرب أن قام "فريدريك الثاني" ملك صقلية في نهاية القرن الثاني عشر الميلادي و"الفونس" ملك قشتالة في منتصف القرن الثالث عشر الميلادي بترجمة العلوم العربية، ثم اقتدى بهم ملك أوربا، وانتهى الأمر بعقد مؤتمر في "فيينا" عام 1311م برئاسة البابا "كليمان الخامس" وقرر في هذا المؤتمر تأسيس خمس مدارس خاصة في باريس، وبولونيا، وأكسفورد، وسلمكنا، والمدينة البابوية يدرس فيها العربية والعبرانية، والكلدانية، حتى يمكن تخريج مبشرين يستطيعون تنصير المسلمين واليهود، أو تشكيكهم في اعتقادهم"²

ويتجلى مما قُدم أن الاستشراق قد انصبت عنايته على التراث الشرقي كـله - قديمه وحديثه بوجه عام، وعكف بكل ما أوتي من وسائل مادية ومعنوية على دراسة نظم الإسلام بوجه خاص، إذ هو المفتاح الأساس لفهم عقلية الشرق وأحوالهم؛ وأيقن أن حقيقة الشرق هي دراسة اللغة العربية للتعمق والولوج في حضارة العرب، كما قام بترجمة عدد هائل من الكتب

¹ - سعيد، ادوارد، الاستشراق، ترجمة كمال أبو ديب، ط6، لبنان، دار الأبحاث العربية، 2003، ص 231.

² - أحمد، سمائلوفتش، فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي، ط1، دار الفكر العربي، 1998، ص 74-75.

دراسة اللغة العربية للتعلم والولوج في حضارة العرب، كما قام بترجمة عدد هائل من الكتب العربية إلى اللغات المختلفة، وعنى بتحقيقها وكشف عن مخطوطاتها ونظم فهارسها، وهذا التحقيق والمعالجة في النصوص قام بها أسلافنا الأقدمون في رواية كتب الحديث واللغة والشعر والأدب والتاريخ في دقة وأمانة وجهد وطلب، وتبنى المستشرقون إحياء هذه الفنون والعلوم ونبغ منهم علماء أمناء قاموا بنشر نفائس جليلة من التراث العربي "ولولا عناية المستعمرين بإحياء آثارنا، لما انتهت إلينا تلك الدرر الثمينة التي أخذناها من طبقات الصحابة، وطبقات الحفاظ، ومُعجم البلدان، ومُعجم الأدباء، ومُعجم ما أستعجم، وفتوح البلدان، وفهرست ابن النديم، ومفاتيح العلوم، وطبقات الأطباء، وإخبار الحكماء، والمقدسي الاصطخري، وابن حوقل، والهمداني، وشيخ الرتبة، وابن جبير، وابن بطوطة إلى عشرات من الكتب الجغرافية، والرحلات التي فتحت أمامنا معرفة بلادنا في الماضي، ووقفنا على درجة حضارتنا، ولولا إحيائهم تاريخ ابن جبير وابن الأثير وأبي الفداء واليعقوبي والدينوري والمسعودي وأبي شامة وابن الطقطقي، وحمزة الأصفهاني وأمثالهم لجهلنا تاريخنا الصحيح في عماية من أمرنا"¹

أسباب اشتغال المستشرقين بالأدب العربي.

- 1- صلة هذا الأدب بالوحيين {القرآن ، السنة}
- 2- أهمية الأدب العربي لدراسة الشخصية العربية وفهمها.
- 3- أثر الأدب العربي في آداب مختلفة ومنها الآداب الأوروبية.
- 4- منزلة الأدب العربي المرموقة بين الآداب العالمية.

المنهج النقدي من منظور استشرافي:

ونحن نعتبر المنهج النقدي من الأمور التي أحيها المستشرقون في أدبنا المعاصر، وذلك نتيجة أثره في الأدب العربي وإثارته لبعض القضايا الأدبية والفنية، ويبدو هذا التأثير جلياً منذ بدء القرن الحالي حتى الآن، ويعتبر النصف الأول من القرن العشرين بحق - العهد الذهبي - لهذا

¹ - محمد، كرد علي، أثر المستعمرين من علماء المشرقيات، ج1، م1927، ص24

الاتصال. إذ أمد المستشرقون الأدب بمدد وافر من التعليقات والشروحات، وبعثوا حركة التحديث في جميع ميادين المعرفة والعلوم. وقد انبرى العرب إليهم وناقشوا آرائهم ... فمثل هذه الأمور لا يمكن أن تمر بدون التأثير والتأثر معاً.

فقد أصدر المستشرق فرنز رونتال حكمه على منهج البحث الأدبي والنقد لدى العرب قائلاً: " غير أن هذا النقد الذي يستهدف إظهار الحسن الجيد والقيح الرديئ لا علاقة له بالنقد العلمي الذي يستهدف التمييز بين الصواب والخطأ فهذا النوع من النقد هو وحده الذي يدل على وجود روح النقد الحق"¹

ومن هنا يجب أن نعترف أن ما ناقشه الاستشراق في أدبنا ولغتنا وفكرنا لشئ يستحق الرجوع إليه وقراءته ومراجعته.

سيطر منهج ديكرت على كل ميادين الفكر الإنساني وقد وضع رينيه ديكرت أربع قواعد رئيسية للمنهج هي: اليقين، التحليل، التركيب، التحقيق. اليقين: "ألا أقبل شيئاً على أنه حق ما لم أعرف يقيناً أنه كذلك" مبدأ الشك الذي يؤدي إلى اليقين.

التحليل: تقسم العضلة التي تدرس إلى أجزاء بسيطة على قدر ما تدعو الحاجة إلى حلها على خير الوجوه بحيث يجب على المرء أن يرتب وينظم الأشياء التي يريد استكشافها وينفذ إلى ماهيتها.

التركيب: "أن أسير في أفكارني بنظام بادئاً بأبسط الأمور وأسهلها معرفة كي أتدرج قليلاً حتى أصل إلى معرفة أكثرها تركيباً، بل أن أفرض ترتيباً بين الأمور التي لا يسبق بعضها الآخر بالطبع".

¹ - فرنز رزنتال، مناهج العلماء المسلمين في البحث العلمي تر. أنيس فريجة، مراجعة وليد عرفات، دار

التحقيق: " أن أعمل في كل الأحوال من الإحصاءات الكاملة والمراجعات الشاملة ما يجعلني على ثقة من أني لم أغفل شيئاً مما يجعل المرء أن يحاول الإحاطة بكل مل يتعلق معرفته به"¹ ومن آثار هذا الفكر الفلسفي النقدي على بعض المستشرقين ما نجده عن بعضهم أمثال: المستشرق الألماني كارل بروكلمان الألماني في " كتابه تاريخ الأدب العربي " وعند الإيطالي كارل نلينو في " كتابه تاريخ الآداب العربية " وعند الانجليزي رينو نيكولسن في كتابه " تاريخ العرب الأدبي " وعند الروسي أغناطيوس كراتشوفسكي في كتابه " دراسات في تاريخ الأدب العربي " ... وغيرهم كثير.

1- كارل بروكلمان 1868/1956م:

يطعن في شخص الرسول صلى الله عليه وسلم فيقول: " ولكن محمداً التاجر المكي هو الذي ساقته ضرورة دينية أعز وأقوي إلى أن يعلن صلاته بالله، واستخدم في دعوته أساليب الكاهن... كان محمد في أقدم مراحل دعوته الدينية يطلق ما يدور بخلد، وهو صادق الاستغراق والغيوبة في جمل مؤثرة يغلب عليها التقطيع والإيجاز وتأخذ طابع سجع الكهان... الخ"² رأيه في شعر الصحابي حسان بن ثابت: أنه مبتذل وألفاظه بسيطة وسهلة ويقول إن سبب انتشار شعر حسان يعود إلى مدح الرسول ص "وأكثر شعر حسان قريب الألفاظ إلى حد الابتذال، ولا يصل إلى مستوى جد رفيع، وإنما يرجع فضل انتشاره والتعلق به في الأزمنة المتأخرة إلى غرضه العظيم الأهمية وهو مد النبي"³

2- كارل نلينو: 1872-1938م

يخالف نلينو موقف ابن سلام و ابن خلدون وغيره من الطرح القاضي بضعف القرينة الشعرية والإبداعية في صدر الإسلام لأنهم احرصوا ببيان وبلاغة القرآن الكريم وانشغالهم

1. - يوسف أكرم، تاريخ الفلسفة الحديثة دار المعارف، 1962، ص 99/96

2- كارل بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، ترجمة عبد الحليم النجار دار المعارف، مصر، 1962 ج 1/137.

3- المرجع نفسه، ص 153.

بافتوحات الإسلامية، ويرجع بعض ذلك — فيما يرى ابن سلام — إلى انشغال العرب بعد مجيء الإسلام بالجهاد، وقد هلك كثير من الناس مما أدى إلى ضياع كثير من الشعر يقول ابن سلام : « فجاء الإسلام فتشاغلت عنه العرب، وتشاغلوا بالجهاد، وغزرو فارس والروم ولهت عن الشعر وروايته، فلما كثر الإسلام، وجاءت الفتوح، واطمأنت العرب بالأمصار راجعوا رواية الشعر فلم يؤولوا إلى ديوان مدون ولا كتاب مكتوب وألفوا ذلك وقد هلك من العرب من هلك بالموت والقتل فحفظوا أقل ذلك، وذهب عليهم كثير »¹ ويقول "إن الآداب العربية في ذلك العصر زاهية، وأن الشعراء لم ينصرفوا عن أنواع قريضهم ولا الخطباء عن سجع نثرهم"² وكان يعترض على قول الأصمعي "إن الشعر نكد بابه الشر فإذا دخله الخير لآن وضعف" ويبرر ذلك بأن البيئة الإسلامية شجعت قول الشعر في الفتوحات الإسلامية والحماسة.

3- اغناطيوس كراتشكوفسكي: 1909-1972م

تكلم عن البديع عند العرب وتساءل هل البديع هو إنتاج عربي أم منقول؟ وأراد كشف المؤثرات الخارجية التي يمكن أن تكون قد أثرت في وضع ابن المعتز علم البديع، وراح يبحث في احتمال أن تكون مؤثرات هندية وفارسية، يقول "من الصعب إيجاد آثار للنفوذ اليوناني في نشوء البديع العربي فقد ولد هذا بيئة تختلف عن البيئة التي نشأ فيها البديع اليوناني لكل الاختلاف"³

3- غوستاف فون غروبنوم 1909-1972م:

يقول إن الفكر اليوناني رائدا للفكر العربي في الشعر وفي البلاغة واللفظ والمعاجم...فهو لا يريد أن ينسب للعرب أية فضيلة أو ابتكار، بل جميع علوم وتراث وفكر العرب منحول من تراث اليونان، ويقول: " إن الجهات المختلفة تؤثر أوزانا مختلفة، فتأثير الفرس في الفن المتقن عند شعراء ما بين النهرين المتقدمين محتمل جداً، وهناك بحران على الأقل - ويحتمل أن يكون ثلاثة

¹- ابن سلام الجمحي، طبقات فحول الشعراء، تحقيق: محمود شاكر، دار المعارف، القاهرة، 1952، ج 1/ 26

²- كارل نليني، تاريخ الآداب العربية، دار المعارف، مصر، 1970، ص 104.

³- اغناطيوس كراتشكوفسكي، دراسات في تاريخ الأدب العربي، موسكو، 1965، ص 12.

أبجر - قد برعت فيهما هذه المجموعة، هما الرمل والمتقارب، وربما كان الخفيف كذلك ، فهذه تبدو متحولة بما يناسب الأحوال العربية عن الأوزان الفارسية (البهلوية)¹

أثار المستشرقين في النقد الأدبي الحديث.

شارك الاستشراق بنهضة الأدب العربي وهذا باعتراف الدارسين والباحثين، وقد اهتم المستشرقون اهتماماً كبيراً بتاريخ وتاريخ لأدب العربي، حيث قسم تاريخ الأدب العربي حسب العصور السياسية المختلفة-نظام الحكم- وما قام به القدماء العرب هو تصنيف الأدباء حسب مواليدهم أو حسب وفاتهم وفي بعض الأحيان حسب أنواع مواضيعهم المختلفة.

ف نجد مثلاً كارل بروكلمان يقسم كتابه "تاريخ الأدب العربي" إلى خمسة وعصور: 1-عصر ما قبل الإسلام حتى نهاية الامويين 132هـ - 2- عصر الدولة العباسية 3- عصر ما بعد سقوط بغداد 5- عصر البعث الجديد في القرن الماضي حتى العصر الحاضر.

ويذهب نلليو في كتابه تاريخ الآداب العربية إلى تقسيم تاريخ الأدب إلى ستة عصور: 1- العصر الجاهلي 2- العصر العربي الإسلامي حتى سقوط الدولة الاموية 750م 3- العصر العباسي الأول 4- العصر العباسي الثاني 3- عصر الانحطاط 6- عصر البعث الجديد.

وكان الدكتور طه حسين في طليعة المتأثرين بهذا المنهج الجديد في الدراسات الأدبية وكان تأثيره هذا عميقاً إلى درجة أنه كان كثيراً ما يأخذ بآراء المستشرقين ويتحمس في الدفاع عنها في مجال إصدار الأحكام حول الأدب العربي القديم وخاصة الجاهلي منه، بل إننا نستطيع أن نقول دون أدنى مبالغة أن طه حسين لم يكن في الحقيقة سوى ثمرة من ثمرات الاستشراق، ومُبشر بالمبادئ والأصول التي دعا إليها المستشرقون في مجال دراسة الأدب، وعلى صعيد الرؤية العامة للأدب العربي الكلاسيكي في عصوره المختلفة. ولعل تأثيره بالمستشرق صموئيل مرجليوث الذي نفى أن يكون الشعر الجاهلي الذي بين أيدينا

¹-غوستاف فون غروبنوم، دراسات في الأدب العربي، تر: إحسان عباس، دار مكتبة الحياة، بيروت، 1962،

معبراً عن العصر الجاهلي وإنما هو — في رأيه — نتاج مرحلة تالية لظهور الإسلام¹، السبب في ذلك.

ويؤسس مرجليوث شكه من ناحية أخرى على أساس المماثلة بين لغتي القرآن الكريم والشعر الجاهلي، متخذاً من هذا التماثل دليلاً على أن ما وصلنا من الشعر الجاهلي إنما هو وليد مرحلة لاحقة لظهور الإسلام يضاف إلى هذا أن مرجليوث يلمح ملاحظات تتجلى في طبيعة القصص الديني والألفاظ الإسلامية التي تشيع في الشعر الجاهلي فضلاً عن خلوه من الآثار الدينية الوثنية.

ومن جملة الآراء التي أبدتها الدكتور طه حسين حول الأدب العربي القديم من واقع تأثره* بآراء المستشرقين، القول بأن الجزء الأكبر من الشعر الجاهلي إنما هو في الحقيقة شعر منتحل، وقد أطلق هذه الفكرة قبله المستشرق الإنجليزي مرجليوث قائلاً: "بدأ المسلمون في حوالي نهاية العصر الأموي يدعون وجود شعر جاهلي عربي، ولم يكتفوا بذلك حتى زعموا أنهم جمعوا الجزء الأعظم منه..."².

¹ - عبد الرحمن بدوي، دراسات المستشرقين حول صحة الشعر الجاهلي، دار العلم للملايين، بيروت، 1986 .
* صدر كتاب "في الشعر الجاهلي" للدكتور طه حسين سنة 1926 ثم في سنة 1927 أصدر المؤلف طبعة منقحة من "الكتاب بعنوان (في الأدب الجاهلي) وقد أحدث كتاب طه حسين رجة عنيفة في الساحة الثقافية والفكرية العربية أثارت الكثير من العلماء والباحثين والكتاب فتصدوا للرد عليه ... ومن ضمن الكتب التي نشرت في هذا الموضوع : كتاب "نقد كتاب في الشعر الجاهلي" للأستاذ محمد فريد وجدي وكتاب "محاضرات في بيان الأخطاء العلمية والتاريخية التي اشتمل عليها كتاب في شعر الجاهلي للأستاذ الشيخ محمد الحصري وكتاب الأستاذ محمد العمراوي "النقد التحليلي لكتاب في الأدب الجاهلي وكتاب "تحت راية القرآن" للأستاذ مصطفى صادق الرافعي.

² - ديفيد صمويل مرجليوث، نشأة الشعر العربي، تر. عبد الرحمن بدوي، دار العلم للملايين، لبنان ط1/ 1979 ص 90، 91

وقد بلغ من تحمس طه حسين لمناهج المستشرقين في البحث الأدبي، والإستنتاجات التي توصلوا إليها في هذا المجال أنه قال ما نصه: " وكيف نتصور أستاذاً للأدب العربي لا يَلم ولا ينتظر أن يَلم بما انتهى إليه الفرنج من النتائج العلمية حين درسوا تاريخ الشرق وآدابه ولغاته المختلفة؟ وإنما يُلتَمَس العلمُ الآنَ عند هؤلاء الناس، ولا بد من التماسه عندهم حتى يتاح لنا نحن أن ننهض على أقدامنا، ونطير بأجنحتنا، ونسترد ما غلبنا عليه هؤلاء الناس من علومنا وآدابنا وتاريخنا..."¹.

15- طه حسين، في الأدب الجاهلي، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ط 3، 1352هـ- 1933م، ص 11

16- ريجيس بلاشير، تاريخ الأدب العربي، ص 164.

17- غوستاف لوبون، حضارة العرب، ترجمة، عادل زعير، عيسى البابي الحلبي وشركاه، 1948، ص 674/625.

* أبو نصر محمد الفارابي (ولد عام 260 هـ/ 874 م في فاراب وهي مدينة في بلاد ما وراء النهر وهي جزء مما يعرف اليوم بكازاخستان وتوفي عام 339 هـ/ 950 م) فيلسوف مسلم أتقن العلوم الحكيمة، وبرع في العلوم الرياضية، زكي النفس، قوي الذكاء، متجنباً عن الدنيا، مقتنعاً منها بما يقوم بأوده، يسير سيرة الفلاسفة المتقدمين، وكانت له قوة في صناعة الطب وعلم بالأمور الكلية منها، ولم يباشر أعمالها، ولا حاول جزئياً.

18- أبو نصر الفارابي، الموسيقى الكبير، تح: غطاس عبد الملك خشبة، مراجعة محمود أحمد الحفني، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، ص 37.

مراجع المداخلة:

ابن خلدون مقدمة، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة، بدون تاريخ.

أبو نصر الفارابي، الموسيقى الكبير، تح: غطاس عبد الملك خشبة، مراجعة محمود أحمد الحفني، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة.

أحمد، سمائلوفتش، فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي، ط 1، دار الفكر العربي، 1998.

ديفيد صمويل مرجوليوث، نشأة الشعر العربي، ترجمة عبد الرحمن بدوي، دار العلم للملايين، لبنان ط 1/

1979

1- ريجيس بلاشير، تاريخ الأدب العربي. ، تر. إبراهيم الكيلاني، الدار التونسية للنشر، تونس 1986.

- كارل بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، ترجمة عبد الحليم النجار دار المعارف، مصر، 1962

هذا إذن هو المذهب أو النظرية الخطرة التي قادت طه حسين إلى أن يصطنع في البحث عن الأدب وتاريخ فنونه، وينتهي به إلى أن يضع علم المتقدمين كله موضع الشك الذي ينتهي في كثير من الأحيان إلى الإنكار والجحود وهو يريد أن يقلب العلم القديم رأساً على عقب.

ومن نماذج الاهتمام المتحيز ضد الأدب العربي ما كتبه ريجيس بلاشير زاعماً أن الأدب العربي يفقد عموماً إلى الإبداع والعبقورية وأن "الفعالية الأدبية، في أدوار عدة، بل في الأدوار الهامة تظل جماعية بمعزل عن كل خلق فردي حقاً، وإذا ما اتفق أن وجدنا خلافاً لذلك فإننا لا نلبث إذا أمعنا النظر أن ندرك أن الظاهرة حركة تجديد أوجدتها فئة أو جماعة أدبية أو هي صفة خاصة إقليمية.... وعلى الجملة فالأدب العربي - وقد نلحق به آداب الشرق الأدنى- لم يعرف إلا في ومضات خاطفة، تلك الحاجة المرهقة الخصبة للتجديد، والتميز، والتعارض"¹

ولا يمكننا أن نطلب من الغير أن يهتم بأدبنا الحديث ولكننا نرى أن هذا الاهتمام يميل إلى التركيز على جوانب معينة من أدبنا العربي، فهذا هو المستشرق غوستاف لوبون في كتابه حضارة العرب يعترف بموروث العرب وبمكانيات بين الآداب العالمية لأن الأدب يشكل أحد أفضل السبل للتقارب بين الشعوب، لأننا نستطيع أن نتلمس من خلال ما ينتجه شعب من أدب ملامح الوجه الحقيقي لهذا الشعب. ويقول: ما عجز عنه الإغريق والفرس والرومان عنه قدر عليه العرب بسرعة، ومن غير اكراه.... ولا نرى في التاريخ أمة ذات تأثير بارز كالعرب، فجميع العرب التي اتصل العرب بهم اعتنقت حضارتهم... ولم يتجل تأثير العرب في الشرق في الديانة واللغة والفنون وحدها، بل يتجلى في ثقافته العلمية أيضاً... وإن أوروبا مدينة للعرب بحضارتها... وترى تأثيرهم العلمي والأدبي والخلقي فيه عظيماً"²

الخاتمة:

__كارل نلليو، تاريخ الآداب العربية، دار المعارف، مصر، 1970

01 __سعيد، ادوارد، الاستشراق، ترجمة كمال أبو ديب، ط6، لبنان، دار الأبحاث العربية، 2003

02 __غوستاف لوبون، حضارة العرب، ترجمة، عادل زعير، عيسى البابي الحلبي وشركاه، 1948

ما أثاره الفكر الاستشراقي من استئثاره لتراث العرب، جعل الرد هو السبيل الوحيد لإبطال بعض المزاعم وتصويب بعضها، وهذا ما انعكس على الأدب، حيث أبع ثمره وطفق يلوح إلى الوجود والعالمية.

وانكب زمرة من الباحثين أمثال جمال الدين الأفغاني وقاسم أمين محمد عبده مصطفى الرافعي محمد حسين هيكل، محمد كرد علي، العقاد... لهذا السيل الجارف. ملتزمين بخطه رسم نظريتها العالم الفيلسوف أبو نصر الفارابي* لإحكام أي صناعة يجب أن تتوافر ثلاث أركان:

1- استيفاء معرفة أصولها

2- القوة على استنباط ما يلزم في تلك الأصول من موجودات تلك الصناعة. 3- القوة على تلقي المغالطات الواردة عليه في ذلك العلم، وعلى سبر آراء من سواه من الناظرين فيه، وكشف الصواب من سوء أقاويلهم فيها، وإصلاح الخلل على من اختل رأيه منهم"

وفي الأخير نعتقد أننا قدمنا بإيجاز صورة مقتضبة عن أثر بعض المستشرقين في الأدب العربي، حيث اتضح جليا أن المدرسة الاستشراقية لعبت دورا كبيرا في اثر النهضة العربية الحديثة وساعده مساعدة فعالة في القيام بدراسة الأدب ونشر آرائه وبحث أفكاره...

وفي الأخير تقبلوا مني فائق التقدير والاحترام، وبارك الله في عملكم وملتقاكم، فان امكنني الحضور لهذا الملتقى بما و نعمت، وان لم احضر فطلبي ان تنشروا هذا المقال في احدي مجلاتكم العلمية الحكمة وتخبروني بذلك.

+ - فرنز روتنر، مناهج العلماء المسلمين في البحث العلمي تر. أنيس فريجة، مراجعة وليد عرفات، دار الثقافة

بيروت، 1961